المنهج الأصولي للإمام صالح المقبلي (ت١١٠٨) في كتابه: نجاح الطالب حاشية على مختصر المنتهى لابن الحاجب

Methods And Principles Of Jurisprudence Of al-Imām Ṣāliḥ al-Maqbalī In His Book: *"Najāḥ al-Ṭālib Ḥāshiah 'alā Mukhtaṣar al-Muntahā li Ibn Ḥājib"*

أمين أحمد النهاري *
عبد الكريم علي **

ABSTRACT

Imam Ṣāliḥ al-Maqbalī, as well-known mujtahid of the eleventh-century of Hijrah, is known by his Ijtihad, which is recognized by respectable Muslim scholars. This article attempts to explain Imam al-Maqbalī's personal background, to elucidate his methodology, and to analyse his methodology of al Istidlal. In order to achieve these objectives, this article uses a historical method to clarify al-Maqbalī's account and deductive method to determine his methodology. The study concludes that most problems advanced by Imam al-Maqbalī have considerable impact. His approach is independent and not fanatical but thorough judgment against others. It also found that he used weak hadis (hadith ḍa'īf) to support his arguments.

Keywords: *Imam Ṣāliḥ al-Maqbalī, Ijtihād, Istidlāl*

---

* Lecturer at Department of Fiqh and Usul, Academy of Islamic Studies, University of Malaya, alnahari1977@um.edu.my.

** Assoc. Prof. at Department of Fiqh and Usul, Academy of Islamic Studies, University of Malaya, abdkarim@um.edu.my.

المقدمة

إن العلماء هم ورثة الأنبياء، وأمانة العلم إنما يحملها العلماء العالمون الأفذاذ الذين زكاهم رسول الهدى بقوله صلى الله عليه وسلم:(يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله).[1] وعلم الفقه من أشرف العلوم، وهو يقوم على أُسس وقواعد قررها أهل العلم الراسخون، ومكانة علماء الأصول من مكانة أصول الفقه بين العلوم، وهي جلية ظاهرة، ولقد كان من أبرز المحققين في أصول الفقه وقواعده في القرن الحادي عشر الإمام المجتهد صالح بن مهدي المقبلي (ت ١١٠٨هـ)، الذي كان علماً شامخاً في بلاد اليمن وخارجها؛ نظراً لما تميز به من قوة النظر والتحرر في الرأي، والمناقشة المتفردة للمسائل بعيداً عن التعصب المذهبي، والتقليد الفقهي؛ معتمداً على الدليل مع إعطاء الأئمة حقهم وعرفانه بقدرهم. ولآراء هذا الإمام في الفقه وأصوله وغيرهما من العلوم، أهمية بالغة شهد بذلك الأئمة المجتهدون المجددون كالصنعاني والشوكاني ودللوا بعباراتٍ واضحة تدل على قوة، ونفاذ بصيرةٍ عند هذا الإمام، وهذا البحث محاولة للتعريف بهذا الإمام وعرض منهجه الأصولي.

التعريف بالإمام المقبلي

هو صالح بن مهدي بن علي بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن أسعد بن منصور المقبلي الثلائي ثم الصنعاني ثم المكي.[2] ولد في سنة أربعين وألف ١٠٤٠هـ،[3] في قرية المقبل من بلاد كوكبان. وتبعد

---

1 البيهقي؛ أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى. برقم (٢٠٧٠٠)، ج ١٠ (١٩٩٤)، ٢٠٩، وقال الألباني: صحيح. انظر: التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، مشكاة المصابيح. برقم (٢٤٨)، ج ١ (١٩٨٥)، ٨٢، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

2 الشوكاني، البدر الطالع.ج١ (د. ت.)، ٢٨٨؛ الحيمي، طيب السمر: (مؤسسة العفيف، ١٩٩٠)، ٢٦١؛ الموسوعة اليمنية.ج٤ (١٩٩٢)، ٢٧٧٩.

3 زبارة، نشر العرف.ج ١ (د. ت.)،٧٨١.

حوالي ٩٤ كيلو متر عن العاصمة صنعاء اليمن،[4] ونشأ المقبلي يتيما مهتماً بالعلم منذ صغره، وساعده على ذلك وجوده في بيئة علمية، فقد كانت قريته المقبل والقرى المجاورة لها تمثل هجرة من هجر العلم.واعتمد المقبلي في الرزق أثناء طلبه العلم على مصدرين: مصدر خاص، فقد كانت للمقبلي أراض زراعية وأملاك ينفق منها حسب رواية أبناء قريته ، ومصدر عام، وهو هجر العلم التي كانت منتشرة في بلاد اليمن، كما أعطاه شيخه ابن المفضل بيتاً بشبام وقام بما يحتاج إليه فبقي بشبام وبرع في الفنون كلها.[5] وأما أولاده فلم تذكر كتب التراجم له سوى بنت اسمها زينب ولعلها الوحيدة.وكانت متصوفة، وربما تدعي الكشف.[6]

ثناء العلماء عليه

حظي الإمام المقبلي بثناء العلماء، وكان بالمنزلة الرفيعة القدر، ولقد ظهر في عبارات من عاصره أو ترجم له، ما يدل على تمكنه بين العلماء، ورسوخ قدمه.كالحموي (ت ١١٢٣). والحيمي(ت١١٥١).[7] وكان لابن الأمير (ت١١٨٢) قدراً أكبر في الثناء فقال: «هو الشيخ الإمام العلامة..المجتهد المطلق الذي فاق الأقران، بل زاحم الأوائل من العلماء والأعيان، برع في الفنون جميعاً...وما زال في اليمن مشاراً إليه بالبنان...ومؤلفاته كلها مقبولة، وأبحاثه بالأدلة مربوطة، وأنظاره أنظار نافعة، وبالجملة فلم يأت له مناظر في أنظاره، وما هو إلا تنوير إلهي، وعناية ربانية،... لم يترجم له أحد، وكان حقيقاً بأن يكتب في شأنه جزء، فإنه من حجج الله، لكن

4 المقحفي، معجم البلدان اليمنية. ج ١ (٢٠٠٢)، ٨٤٤. وهذا التقدير بناء على مسح عداد السيارة، واللوحات الإرشادية العامة أثناء الزيارة لقرية المقبل، وكوكبان مدينة أثرية قديمة على مسافة ٤٢ك.م، غربي مدينة صنعاء.

5 زبارة، محمد بن محمد يحي الصنعاني، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف إلى سنة ١٣٥٧هـ، اليمن: صنعاء مركز الدراسات والبحوث اليمني، د. ت.)، ٧٨٢.

6 الشوكاني، البدر الطالع، ٢٩١.

7 الحيمي، طيب السمر، ٢٦١.

خفيت أخباره عنا». [8]

وقد توفر للمقبلي نخبة من أكابر علماء عصره، فدرس عليهم في مختلف الفنون، وتزود من معارفهم، وأنس بأفكارهم، **ومن أبرز مشايخه:** العلامة جمال الدين محمد بن إبراهيم بن المفضل بن إبراهيم بن علي الشبامى اليمنى. والعلامة المهدي بن عبد الهادي بن أحمد بن صلاح بن محمد بن الحسن الحسوسة الثلائي الصنعاني والحسن بن أحمد بن صلاح اليوسفى الجمالى اليمانى المعروف بالحيمى. والإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد والسيد عز الدين بن دريب بن المطهر بن دريب والشيخ إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني الشهرزوري الشهراني الكردي الشافعي الإمام المجتهد. [9]

وكان المقبلي كثير المطالعة في مختلف الفنون فطالع كتب الحديث النبوي، وكتب الفقه على اختلاف المذاهب، وطالع كتب التاريخ، وكتب الوعظ، والتفسير وغيرها. [10] وهاجر إلى مكة وذلك سنة ١٠٨٠هـ وانقطع هنالك للتعليم والتأليف وقد كتب مؤلفاته كلها في مكة المكرمة كان كثيراً ما يناظر أقرانه وشيوخه، وجرت بينه وبينهم مناظرات عديدة أدت إلى اتهامه بالزندقة، وبعضهم أفتى بأن يحرق. [11] وتنوعت موضوعات هذه المناظرات فكانت في الأصل في الاحتجاج بالعقل، وتعليل أفعال الباري. وقضايا فقهية وأخرى أصولية وأخرى تتعلق بالمذهب الزيدي، ومع بعض

8 المليكي، الشيخ صالح المقبلي وفكره الإسلامي (١٩٩٩)، ١٢٥-١٢٦، عن مخطوطة الإمام الصنعاني ترجمة الشيخ صالح المقبلي.

9 الحيمي، طيب السمر، ٥٢؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج ١، ١١-١٢، ج ٢، ٩٥-٩٦، ج ١، ٩٢؛ المحبي،خلاصة الأثر. ج ١ (د. ت.)، ١٨٩ و٤١١-٤١٦. ج ٣، ١١٠-١١١ و٣١٨-٣٢١.

10 المقبلي، المنار.ج ١ (١٩٨٨)، ٦٢-٦١.

11 الأكوع، هجر العلم.ج ١ (١٩٩٥)، ٢٧٧.

الشيعة، والداعين إلى التمذهب، وغيرها حسب الداعي للمناظرة.[12] ولقد حرص المقبلي على نشر العلم الذي حصله فلم يبخل به على أهله الراغبين، **وأبرز تلاميذه الذين صرح أهل التراجم بالأخذ عنه:** العلامة محمد بن الحسن بن أحمد الحيمى الكوكباني. والقاضي إسحق بن محمد العبدي الصعدي، والقاضي أحمد بن عبد الهادي المسوري الصنعاني، والعلامة عبد القادر بن على البدرى الثلائى. والشيخ محمد بن موسى الداغستاني، والقاضي أحمد بن عبد القادر الورد الثلائي. وتلامذة آخرون صرح بهم المقبلي من أهل مكة.[13]

مصنفات الإمام المقبلي

على الرغم من الانتشار الواسع لصيت المقبلي وشهرته في الآفاق، إلا أن مصنفاته تعد ضئيلةً بالنسبة لهذا الصيت، لكن مكانة هذه المصنفات هو الأهم، حيث يشير الشوكاني إلى هذه القيمة إجمالاً فيقول: «وإنما التصنيف الذي يستحق أن يقال له تصنيف، والتأليف الذي ينبغي لأهل العلم الذين أخذ الله عليهم بيانه، وأقام لهم على وجوبه عليهم برهانه، هو أن ينصروا فيه الحق، ويخذلوا به الباطل، ويهدموا بحججه أركان البدع، ويقطعوا به حبائل التعصب، ويوضحوا فيه للناس ما نزل إليهم من البينات والهدى،... ويحببوا إلى قلوبهم العمل بالكتاب السنة، وينفروهم من إتباع محض الرأي، وزائف المقال، وكاسد الاجتهاد».[14] ولذا نجد ثناء العلماء على مؤلفات الإمام المقبلي واهتمامهم بها، فهي جديرة بالاعتناء بها والتحقيق لها وإبرازها للناس، فمؤلفاته مقبولة كلها عند العلماء محبوبة

12 المقبلي، نجاح الطالب، (٢٠٠٩)، ٤٣٨؛ المقبلي، المنار، ٢٧٩،٢٢٣،١٩١؛ المقبلي، العلم الشامخ، (١٩٨٥)، ٤٠٧،٢٢٧،٣٤٤، ١٤؛ المقبلي، الأبحاث المسددة، (٢٠٠٧)، ٦٢.

13 الشوكاني، البدر الطالع، ج ١، ٣٩٦، ١٥٣، ج ٢، ٦٠؛ زبارة، نشر العرف، ١٥٨ و٣١٨–٣٢٠؛ المليكي، الشيخ صالح المقبلي وفكره الإسلامي، ٧٨–٧٩؛ المقبلي، المنار، ج ٢، (٢٠٠٧)، ١٥٦؛ المقبلي، الأبحاث المسددة، ٦٣.

14 الشوكاني، أدب الطلب، (١٩٩٨م)، ١٠٦–١٠٧.

إليهم، متنافسون فيها، ويحتجون بترجيحاته، وفي عباراته قوة وفصاحة وسلاسة تعشقها الأسماع، وتلتذ بها القلوب.[15] وهذه المؤلفات أغلبها حواش ومتداخلة العلوم في الغالب، والباعث على ذلك قد يكون اكتفاء بما هو موجود، إضافة إلى أن العصر سادت فيه الحواشي بل هو عصرها بامتياز. وعند الرجوع إلى التراجم والتتبع لمصنفات المقبلي نجدها تربو على ثلاثة عشر كتابا ورسالة في فنون متنوعة هي: العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ، وبذيله الأرواح النوافخ لآثار إيثار الآباء والمشايخ، والأبحاث المسددة في فنون متعددة وبذيله رسالة في أحاديث الغناء. وحب الغمام على إشارات المرام. وكتابه الشهير المنار في المختار من جواهر البحر الزخار في الفقه. ونجاح الطالب حاشية مختصر المنتهى لابن الحاجب. والإتحاف لطلبة الكشاف في التفسير. ورسالة المقبلي إلى الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن، صاحب المواهب. ورسالة في تفسير قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً﴾[سورة نوح: ١٥] وبحث حول حديث «ستفترق أمتي إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة..»[16] وبحث في التعبد بشرع من قبلنا.وفتوى الإمام المقبلي في حكم الباطنية الإسماعيلية من أهل همدان.[17]

وفاته: توفي الإمام المقبلي بمكة المكرمة ودفن بالحجون، في يوم الأحد الثاني من ربيع الأول سنة ثمانية ومائة وألف (١١٠٨هـ) عن ثمان وستين سنة. وقيل في اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر من ربيع الأول سنة ١١٠٨هـ.[18]

---

15 الشوكاني، البدر الطالع، ٢٨٨.

16 السجستاني، أبو داود، سنن أبي داود. برقم (٤٧٩٥) باب شرح السنة ج٤(د. ت.)، ١٩٨.

17 الشوكاني، البدر الطالع، ٢٨٨–٢٩٠؛ الحبشي، مصادر الفكر. (١٩٨٨)، ١٤٦؛ المقبلي، المنار،ج ٢، ١٦٢.

18 الشوكاني، البدر الطالع،ج ١، ٢٨٨؛ الأكوع، هجر العلم. ج ١، ٢٧٧؛ زبارة، نشر العرف، ج ١، ٧٨٧.

التعريف بكتابه الأصولي نجاح الطالب حاشية على مختصر المنتهى لابن الحاجب

هذا الكتاب مخطوطة توجد منها نسخٌ متعددة، منها في الجامع الكبير في سنة ١١٤٣، (جامع ١٤٢٧)، وفي المتحف البريطاني رقم(٣٨٣٣) وفي مكتبة العبيكان بالرياض رقم(٧٢).[19] وقد قام بدراسة وتحقيق هذا الكتاب الأستاذ: محمد عبد الرب النظاري وتقديمه لنيل درجة الدكتوراه في أصول الفقه في جامعة أم درمان، السودان عام ١٩٩٥م. وأول طباعة له في العام ٢٠٠٩م عن مكتبة البدر، مصر، بتحقيق محمد صبحي حسن حلاق.

وهو كتابٌ في أصول الفقه وضعه حاشيةً على «**مختصر المنتهى**» لابن الحاجب، ذكر فيه ما يختاره في أمهات المسائل الأصولية، وكان كثيراً ما يعزو إليه بقوله فيما كتبنا على «مختصر المنتهى»، أو «حواشي ابن الحاجب» أو في «نجاح الطالب».[20] وبين في مقدمته أنه لم يتعرض لكل قضية أو مسألة فقال: «هذه نكيتات عرضت لنا عند درس «مختصر المنتهى» لم أقصد فهيا التفتيش علن كل عازب، لكنها أقطاب تدور عليها رحى هذا الفن وغيره...وسميتها» نجاح الطالب لمختصر المنتهى لابن الحاجب».[21] وقد أثنى عليه الشوكاني بقوله: «ومنها في الأصول «نجاح الطالب على مختصر المنتهى الحاجب» جعله حاشيةً عليه ذكر فيه ما يختاره من المسائل الأصولية».[22]

---

19 الحبشي، مصادر الفكر، ١٨٢.

20 المقبلي، الأبحاث المسددة، ٢٧٦-٤٦٩؛ المقبلي، المنار،ج ١، ٢٩،٣٤،١٦٣، ج ٢، ١٢٠،١٥٨،١٨٥.

21 المقبلي، نجاح الطالب، ٣٤.

22 الشوكاني، البدر الطالع، ج ١، ٢٨٩.

المنهج الأصولي للإمام المقبلي

المنهج أسلوب ينبئ عن شخصية العالم وطريقته في الاستدلال، والمقبلي أحد العلماء الذين يتميزون بمنهج فريد، وأسلوب مميز، والذي يساير المقبلي في مؤلفاته حتى النهاية يجد بروز منهجه بجلاء، مما يترك في نفسية المتعلم حباً وتقديراً لهذا الإمام، ويزداد من وثوقه بمرافقة أقواله والأخذ بأدلته.

منهج الإمام المقبلي في عرض المسائل والأقوال الواردة فيها

أكثر المسائل التي عرضها الإمام المقبلي مثلت أهمية بالغة من حيث المضمون، وطابعها العام هو الاختصار والاقتصار على أهم المسائل، ولم يتعرض لجميع المسائل أو لكل مسألة من جميع جوانبها، فكان اقتصاره على ما يراه مناسباً ومثمرا، فنراه مرة يتعرض للتعريف وأخرى يتعرض للأقوال، وثالثة يتعرض فيها للاستدلال، أو لبيان الخطأ في العزو أو بيان رأي المخالف أو ضعف المستند، ونحو ذلك، والسبب في ذلك يعود إلى أمرين:

١. أن مؤلفاته أغلبها حواش أو ردود ولم يؤلف استقلالاً، وهذا المقام أليق به الاختصار.

٢. تصريحه الرغبة في الاختصار، والاقتصار على قدر الحاجة في المسألة، وعدم التفتيش عن كل غريب، أو عدم أهمية المسألة الأصلية في نظره. ويدل على ذلك قوله في مسألة التكليف بما علم الآمر انتفاء شرط وقوعه: «هذه المسألة تذكر في محلين هنا في النسخ قبل التمكن...والإطالة معه في جميع ذلك تستدعي طولاً، والطول لجاج، ولكن نشير إلى ما يرشد إلى الحقيقة».[23] وصرح به في نسخ الأخبار: «ولا شك في منع المعتزلة له، وتجويز الأشاعرة نظراً

[23] الشوكاني، البدر الطالع، ١٣٤.

إلى أصل كلي، فلا معنى للمجمجة، وتصوير مسألة قد عرفت من القاعدة، وليس لها حاصل...وهذه المسألة تكلف لا يعني، وحاصلها سمج يعني ولا يغني».[24]

أما عند قصده لتجلية المسألة وبيانها ورؤية أهميتها، أو عدم تحريرها من وجهة نظره عند من سبقه، فإنه يتعرض لذلك كله بما يكفي، وقد يطيل نقلا واستدلالا، وسأكتفي بمثالين، الأول على الاقتصار، والثاني بيان المسألة. فمن الأمثلة التي اقتصر فيها على جزئية، قوله تعليقاً على ابن الحاجب في تصحيح تعريف أصول الفقه: «الحق أن يقال إن أصول الفقه ونحوه نفس القواعد؛ فإن العلم المتعلق بها الحال في قلب زيد ليس هو حقيقة الأصول...» وهكذا يستمر في سرد ما يؤيد فكرته.[25] ومن الثاني: تعقيبه على ابن الحاجب في نقل المذهب في الحقيقة الشرعية قال:« لم تحرر هذه المسألة حق تحريرها سيما هذا الكتاب وشرحه فنقول: «الألفاظ المتنازع فيها في الجملة تحتمل وجوها والأقرب أيضاً أن بعضها وقع على تلك الوجوه وبعضها على بعض آخر، وبعضها ظاهر في ذلك وبعضها يحتاج إلى بحث خاص..».[26] ثم حرر هذه الوجوه مع العزو وبيان الصحيح. وكذا الإطالة في مسألة التحسين والتقبيح العقلي، لكثرة الغلط في نظره. ومسألة التعبد بخبر الواحد.[27]

وكثيراً ما يترك الإمام المقبلي الأقوال الواردة ونسبتها وربما يعود ذلك إلى ذمه التقليد وآراء الرجال وأن الأصل هو القول وليس القائل ولا حجة إلا في الكتاب والسنة، أو اكتفاء بما ذكر في الكتاب الأصل مختصر ابن

---

24 الشوكاني، البدر الطالع، ٤٨٥، والمجمجة هي التخليط، ومجمج الرجل في خبره لم يبينه، وإذا أتى بما لم يشف. ابن منظور، لسان العرب. (د. ت.)،ج ٢، ٣٦٣؛ الزبيدي، تاج العروس، (د. ت.)، ج ٦، ٢٠١.

25 المقبلي، نجاح الطالب، ٣٧.

26 المقبلي، نجاح الطالب، ٩٦.

27 المقبلي، نجاح الطالب، ٢٦٩، ١٦١، ١١٨.

الحاجب وشرح العضد. ولكننا نراه يهتم بالأقوال الواردة في المسألة في مواضع:

الموضع الأول: الخطأ في نسبة القول. فعندما يكون الخطأ في النسبة فإنه يعترض مبينا صحة القول ونسبته، كاعتراضه على ابن الحاجب أنه لا يشتق اسم الفاعل لشيء والفعل قائم بغيره خلافاً للمعتزلة فقال: «هذه المسألة لم نر ذكرها في كتب المعتزلة إلا هؤلاء الذين أخذوا من كتاب ابن الحاجب وكأن الأشاعرة وابن الحاجب فرعوها للمعتزلة ثم فرعوا على ذلك...فكيف يقال هو رأي المعتزلة الذين يقولون بمقتضى اللغة». وكذلك تحقيق عدم الخلاف بين بغدادية المعتزلة والبصريين في التحسين والتقبيح.[28] وفي نسبة نفي خبر الآحاد إلى الجبائي. وتصحيح قول ابن الحاجب.[29]

الموضع الثاني: تصحيح جزئية قائمة على خلاف في أصول الدين، ومن أمثلته مسألة شكر المنعم حيث قال: «وأقول تحريراً على أصولهم وتصحيحاً لعباراتهم: اعلم أن الحكم ثابت في نفس الأمر بالاتفاق بين الأشعرية والمعتزلة، فكل شيء لا يخلو في نفسه عن أحد الخمسة».[30] ومن ذلك تصحيحه على ابن الحاجب اتهام المعتزلة بتوهم إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الذبح: «ومن أعظم الاعتراض عليه الاعتراض على نقله عن المعتزلة أن الخليل عليه السلام توهم الذبح ولم يؤمر به، وهذا بهت بحت، ولا يقبل على مسلم إلا بيقين، وهذه كتب المعتزلة فليأتنا بشيء منها في ذلك».

الموضع الثالث: استبعاده صدور هذه الأقوال من أئمة بأعيانهم. ومثاله: عدم صحة نسبة القول بالتصويب والتخطئة للأئمة الأربعة.[31] أو عدم

---

28 المقبلي، نجاح الطالب، ١٠٧-١٢٥.
29 المقبلي، نجاح الطالب، ٢٣٠-٢٦٧.
30 المقبلي، نجاح الطالب، ١٤٣.
31 المقبلي، نجاح الطالب، ٤٨٠-٥٨٨.

صحة قول الشافعي وأحمد أن قول الصحابي حجة،[32] وتصحيح فهم ما روي عن الإمام أحمد من أن خبر الواحد يفيد العلم مطلقاً، فقال: يحتمل أنه أراد بالعلم الراجح، وإلا فلا يعقل».[33]

الموضع الرابع: صدور القول عن العالم بما ينبئ المخالفة للأصول الشرعية. ومن ذلك ما نسبه البعض إلى أبي مسلم الأصفهاني من القول بعدم جواز النسخ وعدم وقوعه، ثم بين مراد أبيٍ مسلم في النسخ.[34] وكذا ما نسب إلى المعتزلة من المنع لجواز العفو عقلاً فقال: «وهذا كذب صريح لا سيما الجبائية، بل كل البصرية الذين الكلام معهم».[35] وهي مسألة أقرب إلى الجانب العقدي لكنها مبنية على التحسين والتقبيح.

والملاحظ مما سبق أن أكثر اهتمامه بتصحيح ما نسب من المذاهب إنما هو دفاع عن المعتزلة، وبهذا نلمح انحياز المقبلي في مواقفه إلى المعتزلة وإن لم يوافقهم وذلك أمر لا عيب فيه إلا أن يكون بباطل وتحقيق هذا في غير هذا الموطن، وقد صرح المقبلي بذلك بقوله: «وقد حررنا الغلط عليهم في مثل هذا الكتاب وغيره، فلا يوثق به وسائر المختلفين كذلك، خلا أن نقل المعتزلة عن الأشاعرة كثر فيه الغلط جداً، فليختبر ذلك من يعبد الله لا من يعبد المذاهب وأربابها».[36]

منهج الإمام المقبلي في الإسناد والعزو إلى المصادر

الإمام المقبلي كغيره من العلماء له مصادره وطريقته في العزو والإحالة، وقد كانت مصادره متنوعة، ويصعب الفصل بين مصادر الإمام المقبلي في الأصول عن غيرها؛ لاتصال علم أصول الفقه بأصول الدين واعتماده على

32 المقبلي، نجاح الطالب، ٥٧٩.
33 المقبلي، نجاح الطالب، ٢٦٣.
34 المقبلي، نجاح الطالب، ٤٧٧.
35 المقبلي، نجاح الطالب، ١٢٧.
36 المقبلي، نجاح الطالب،٤٨٠.

اللغة، وأقوال أهل التأويل والحديث لكن يمكن تصنيف هذه المصادر من خلال كتابه الأصولي نجاح الطالب وحده على وجه الخصوص إلى ثلاثة أصناف: المصادر الكلامية، والمصادر الأصولية، والمصادر العامة.

المصادر الكلامية: لقد اعتمد المقبلي في الأصول على كتب العلماء المتقنين لهذا الفن، وكلهم من مدرسة الجمهور كونهم يمثلون هذه المدرسة وأهم هذه المصادر: كتاب المنقذ من الضلال، ومعيار العلم في فن المنطق للإمام للغزالي، ونهاية العقول للإمام الرازي، وكتابي المواقف، والجواهر للعضد، وشرح المواقف للشريف الجرجاني وما كتبه أبو الحسن الأشعري، كما اعتمد على كتب المعتزلة في ذلك.[37]

المصادر الأصولية: أما المصادر الأصولية فقد غلب عليه المزج بين مصادر مدرسة المتكلمين، والحنفية وكذا المعتزلة والشيعة الإمامية وأهم هذه المصادر: الكتاب الأصل وهو مختصر المنتهى لابن الحاجب، والحاشية الرئيسة على الأصل وهي شرح العضد، للإمام عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، والحاشية الثانية للتفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله المشهور بسعد الدين على شرح العضد، وهذه الثلاثة الكتب هي العمدة التي اعتمد عليها الإمام المقبلي كمصادر أساسية في التأليف والاعتراض والنقد. كما اعتمد على تنقيح الفصول للإمام شهاب الدين القرافي وشرحه التوضيح، وشرح التلويح على التوضيح لابن تاج الشريعة، وكتاب المنار للنسفي وشرحه، وهي من أكثر ما اعتمد عليها من ما يسمى بمدرسة الفقهاء. واستند إلى كتاب البرهان للجويني، والمنهاج للبيضاوي وشرحيه نهاية السول في شرح منهاج الوصول للأسنوي، وشرح الأصفهاني على المنهاج للبيضاوي وعزا إليه كثيراً. كما اعتمد على المحصول للرازي، وجمع الجوامع لابن السبكي، وشرح المحلي على جمع الجوامع ومقدمة البحر الزخار،

---

[37] المقبلي، نجاح الطالب، ١١٠، ١٠٩، ١١٦، ١٧٥، ٢٣٧.

والبحر المحيط للزركشي، وشرح لب الأصول لزكريا الأنصار.[38] وأما كتب الإمامية فكتابين: التهذيب وشرحه لمحمد بن مكي العاملي، وكذا زبدة الأصول لبهاء الدين العاملي مع انتقاده البالغ لهما.[39] وأما كتب المعتزلة فالإحالة عليها إجمالاً، وذلك لتمكنه منها وكثرتها.[40] كما تجدر الإشارة إلى أنه اعتمد على مصادر أخرى كثيرة وإن لم يسمها خاصة أنه اعتمد نقل المذاهب من كتب أهلها.

وأما المصادر العامة فتتنوع إلى لغوية وتفسيرية وحديثية وتراجم وغيرها وأهمها:

كتب الحديث وعلومه كالصحاح والسنن والمسانيد، وعلوم الحديث لابن الصلاح، وتلخيص الحبير لابن حجر، والميزان للذهبي، وتنقيح الأنظار لابن الوزير، والعواصم من القواصم، والتحقيق في أحاديث الخلاف لابن الجوزي، ومعرفة السنن والآثار للبيهقي، وأسد الغابة لابن الأثير.

وكتب اللغة مثل كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، وشرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها للإمام جلال الدين السيوطي، والمطول شرح تلخيص مفتاح العلوم. وكتب التفسير كمفاتيح الغيب للرازي، والكشاف للزمخشري، وحاشية التفتازاني على الكشاف، وجوامع البيان في تفسير القرآن لمعين الدين الإيجي، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري. وكتب الفقه كالمهذب للشيرازي، والمجموع شرح المهذب، وزاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية، وكتب الإمام ابن دقيق العيد، والإعلام عن قواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي،[41] وغيرها.

---

38 انظر: المقبلي، نجاح الطالب، ١٣٩-١٤١،١٠٦، ١٦٨،١٦٥،١٦٦،١٤٢، ١٧٥،١٦٩، ١٧٨، ١٨٦، ٢٧٠ ٢٨٨ ،٤٣٢، ص ٤٧٢،٣٨١،٣٥٤.

39 المقبلي، نجاح الطالب، ٤٣٧.

40 المقبلي، نجاح الطالب، ٣٢٢.

41 المقبلي، نجاح الطالب، ٥٨، ٧٨، ١٠٨، ٤٦١، ٤٦٢.

وأما منهجه في العزو إلى المصادر: فقد تنوعت طريقته في ذلك وأهم هذه الطرق: العزو إلى الكتاب، والعزو إلى المؤلف، والعزو إلى المؤلف والكتاب وهو الأغلب. وأما النقل للأقوال فنجده تارة ينقل القول بتمامه، وتارة يذكره بمعناه. فمن عزوه إلى الكتاب وحده، قوله: «ومثله في **المنار** وصاحب البيت أدرى بالذي فيه أنه لا خلاف...». وقال «قال في البرهان: هذا سوء معرفة بمذهب الأشعري..».[42] ومن عزوه إلى المؤلف وحده قوله: «وعبارة البيضاوي، ولا يجوز تكليف الغافل المحال». وقوله: «قال الجويني هذا مذهب لا يرضاه عاقل لنفسه».[43] وكذا قوله: «قال الصفوي في تفسير قوله تعالى:﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [سورة الزمر: ٥٣] يعني ليس ذنب لا يمكن أن تتعلق به مغفرة لكن جرت عادة الله أن لا يغفر الشرك بغير توبة».[44] ومن عزوه إلى المؤلف والكتاب وهو بالمعنى: «ثم رأيت في الهدي النبوي لابن القيم عن شيخه ابن تيمية: أن الباقلاني ينكر المشترك».[45] وأما ذكر نص القول: فمن ذلك قوله: «في شرح الأصفهاني على منهاج البيضاوي: الفرع الثاني...».[46] وهو نص ما ذكره السبكي في الإبهاج، مع خلاف يسير في لفظ.[47] وقوله: «قال الإمام في المحصول: ثم هذا التوقف تارة يفسر بأنه لا حكم...».[48] وهو نص ما ذكره الرازي: «وهذا الوقف تارة يفسر بأنه لا حكم، وهذا لا يكون وقفا بل قطعا بعدم الحكم، وتارة بأنا لا ندري هل هناك حكم أم لا؟».[49] وقوله: «قال الشريف في شرح المواقف: قولنا

---

42 المقبلي، نجاح الطالب، ١٦٥-١٦٨.

43 المقبلي، نجاح الطالب، ١٧٨-١٧٤، وانظر: الجويني، أبو المعالي، البرهان في أصول الفقه. ج ١ (١٤١٨)، ١٩٦)

44 المقبلي، نجاح الطالب، ٥٥٣.

45 المقبلي، نجاح الطالب، ٧٩.

46 المقبلي، نجاح الطالب،١٤١.

47 السبكي، علي، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي: ج ٢، (١٤٠٤)، ١٤٢.

48 المقبلي، نجاح الطالب، ١٤٢.

49 الرازي محمد، المحصول. ج ١ (١٤٠٠)، ٢١٠.

في اللساني على حد قول المعتزلة من كونه حروفاً وأصواتاً»[50] وغير ذلك. ومن ذكر معنى القول: قوله: «ففيها ثلاثة مذاهب على ما ذكره الإمام في المحصول وتبعه المصنف في المنهاج» وقوله: «وقد أخطأ البيضاوي بعزو الخلاف في منهاجه إلى المعتزلة»[51] وقوله: «وفي المواقف والجواهر للعضد التصريح بأن مرجعه بنسبة الفعل إلى المحلية فقط»[52] وقوله: «وصرح الأسنوي في شرح المنهاج بمنع ابن الحاجب لجواز القسمين».[53]

منهجه في الاستدلال والمناقشة: يظهر منهج الإمام المقبلي في المسائل المفردة التي اهتم فيها بعزو الأقوال والرد على المخالف، وقد استدل بالعقل والنقل، وكان استدلاله العقلي غالب وظاهر في ذلك، مقتربا من مدرسة الجمهور على وجه الجملة، وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: الاستدلال العقلي:يغلب الاستدلال العقلي على منهج المقبلي، ويعود ذلك إلى اهتمامه بالعقل، وأنه أساس للكتاب والسنة وبه عُرِفا، كما يرجع لعلومه الأولى على يد شيخه المعتزلي القاضي مهدي الحسوسة. ويظهر هذا المنهج من خلال وضع المقدمات للوصول إلى النتائج، أو كثرة الافتراض، أو الإلزام للخصم، أو إيراد الدور أو التسلسل، أو ضرب الأمثلة والشواهد، أو استخدام المناظرة العقلية، أو قلب الدليل على الخصم وغير ذلك، وساعده على ذلك تأمله العميق في الأدلة الشرعية في كشف الكثير من المعاني المعقولة التي لا يملك العاقل رفضها، ونقتصر على أمثلة يسيرة هنا وسيتضح ذلك أكثر من خلال الآتي:

البناء على المقدمات العقلية، ثم التفريع عليها. مثال ذلك: «كل عاقل يعلم الفرق بين الإساءة والإحسان، والجور والعدل...».[54] وهذا بناء

[50] المقبلي، نجاح الطالب، ١١٠.
[51] المقبلي، نجاح الطالب،١٦٩.
[52] المقبلي، نجاح الطالب، ١٠٩.
[53] المقبلي، نجاح الطالب، ١٦٦.
[54] المقبلي، نجاح الطالب، ١١٩.

لمقدمة معلومة لدى الجميع لينتقل منها إلى تصحيح التحسين والتقبيح. وفي مثال آخر يقول:«اعلم أن يكون الشيء واجباً حراما لازما متناقضاً هو طلب أن يكون موجوداً، معدوماً! فمن جوز طلب المستحيل فقياسه أن يجوز».[55]

والاستدلال بالبقاء على النفي حيث لم يرد دليل: وأمثلته كثيرة منها ما ذكره في مسألة اشتراط التواتر في القراءة. قال: واعلم أنه لا دليل على لزوم غير صحة النقل في القرآن، ...أما موافقة خط المصحف فلا دليل على ذلك.[56]

وكان اعتماده على الأمثلة لتقريب الدليل. في أكثر من موضع، كقوله في اقتضاء النهي العموم في الأوقات وغيرها: «رجلان أحسن إليهما رجل بجميع أنواع الإحسان وأساء إليهما آخر بجميع أنواع الإساءة، فأخذ أحدهما يمدح المحسن ويشكر إحسانه ويحط من جانب المسيء وعكس أحدهما الأمر، وكل منهما يعلق فعله بالإحسان والإساءة، ».[57]

واستخدام أسلوب المناظرة العقلية من جهة واحدة، ومن أمثلة ذلك المناظرة العقلية في مبدأ التحسين والتقبيح، فقال بعد تسليم المقدمة الأولى: «فإن قلت كيف تدعي هذا على كل عاقل والمنكرون أكثر من المعترفين؟..قلت:إنما يقول ذلك أفراد المدركين لهذه الأبحاث، وقليل ما هم...فإن قلت:إنما يزعمون أنهم يوافقون الشرع، وخصمهم يخافه...؟ قلت: فلمَ وقع الفرق بين مخالفة الشرع وموافقته؟ هل ذلك أمر ثابت في نفس الأمر أدركه العقل وأمر به الشرع أم لا ثبوت له في نفسه؟ فإن قالوا كما هو مذهبهم: لا ثبوت له في نفسه إنما تغير... قلنا: فخبر الشارع في

55 المقبلي، نجاح الطالب، ١٥٣.
56 المقبلي، نجاح الطالب، ١٩٧.
57 المقبلي، نجاح الطالب، ١٢٩.

نفسه هذا محمود وهذا مذموم...إلخ»،[58] ويظل بهذه المناظرة العقلية يحتج على التحسين والتقبيح العقلي...ومثله في الرد على أبي هاشم الجبائي صحة الصلاة في الدار المغصوبة.[59]

واستخدم مبدأ الافتراض: وذلك بأن يورد أكثر من حالة للوصول إلى النتيجة، قال في المقتضى: اعلم إنما يتوجه إلى الماهية وقد علمت أن وجودها مجرد محال، فإما أن يراد به جميع الجزئيات الخارجية الممكنة أو بعضاً مبهماً أو معيناً، أو أعم من ذلك وهو المطلق، البعض المعين ليس بمراد هنا؛ لأنه المفروض فإما أن تقول: المراد فرد مبهم، أو الكل مدلول العام، أو المطلق، والظاهر المطلق.[60] كما أنه يلجأ أحيانا إلى قلب الدليل والإلزام على قائله قوله: «وأما الدليلان الآخران فجوابهما المنع–أيضا– للازم في الأول، والالتزام له في الثاني». وكذا في رده على الأشعرية في النسخ بأنه رفع الحكم.

ثانياً: الاستدلال بالنقل: غلب على منهج المقبلي الاستدلال العقلي في أكثر المسائل. ومع ذلك هو يقترب في استعمال الأدلة من مدرسة النقل وسيظهر توسطه في القياس ورده للمصالح المرسلة، والاستحسان مما يؤكد إعماله للنقل والعقل ولا تعارض. وإذا وجد ما يؤيد مسألته ويدعم رأيه من النقل فإنه يكثر من الأدلة النقلية ويحشدها. وأقرب مثال على ذلك مسألة حجية إجماع آل البيت، فقد أوصلها إلى التواتر المعنوي وحشد فيها الكثير من الأدلة،[61] أو عموم المقتضى أو التحسين والتقبيح العقلي، أو غيرها.

---

58 المقبلي، نجاح الطالب، ١٢٠–١٢٣.
59 المقبلي، نجاح الطالب، ١٥٦.
60 المقبلي، نجاح الطالب، ٣٥٨.
61 المقبلي، نجاح الطالب، ٢٣٨–٢٤١.

مميزات المنهج الأصولي للإمام المقبلي

تميز الإمام المقبلي في منهجه الأصولي بميزات مستقلة، جلت شخصيته بوضوح وأفردته عن باقي الأئمة في عصره، ويكفي أنه حقق الأصول واعتمد الدليل، وسلك مسلك العلماء المناظرين. وأهم هذه المميزات:

١) الاستقلال في الاستدلال وعدم التقيد بمدرسة معينة، وهذه الميزة واضحة، فلم نجد في عبارة من العبارات ألفاظ أصحاب المذاهب المنتسبين، ولكنه يتجه مباشرة إلى تقرير رأيه وإبطال مذهب الآخر، وهذا الاستقلال أضاف إليه ميزة أخرى وهي الجرأة في الرد ونقد المخالف، وهو ما ميزه عن الكثير.

٢) الاعتناء بأمهات المسائل، واقتصاره على ما تدعو إليه الحاجة، وابتعاده عن التفصيل وعدم تعرضه لبعض المسائل باعتبار ظهورها أو سقوط أدلتها، أو انعدام فائدتها وشغلها للحيز بلا ثمرة. وهو ما بنى عليه كتبه وحواشيه، منها قوله: «فهذه نكيتات عرضت لنا عند درس مختصر المنتهى وشرحه للعضد، وحاشية السعد، لم أقصد فيها التفتيش عن كل عازب، لكنها أقطاب تدور عليها رحى هذا الفن».[62]

٣) نقله للمذاهب من أصحابها، وعدم الاكتفاء بما نقله غيرهم عنهم، ثم وقوفه على الجميع موقف الحكم قال: «ومن أراد الله فليعرف المذاهب من أهلها ولا يقبل شهادة المختلفين، فإنها من شهادة ذوي الأهواء والإحن المردودة شرعاً، ولا أعظم مما أثارته التحزبات، وما على الناصح أكثر من هذا».[63] وأما أمثلة ذلك فالكتاب مملوء به. ومنها قوله تصحيحاً لمذهب الجبائي: «هذا النقل غير صحيح،

[62] المقبلي، نجاح الطالب، ٣٤.
[63] المقبلي، نجاح الطالب، ٢٤١.

فإن المشهور عنه في كتب الأصول، وعلوم الحديث، وفي كتب المعتزلة في الأصولين أنه لا يكتفى بخبر الواحد».[64]

٤) الاهتمام بتحرير محل النزاع وبيان مثارات الغلط في كلام المخالف، وتصحيحها. فقد غلب على منهج الإمام المقبلي تحرير محل النزاع، وخاصة إذا كانت المسألة ذات فروع كثيرة، وتحتاج إلى هذا الوقوف على موطن الخلاف قبل البحث في خلاف العلماء وأدلتهم. وهذا منهج سوي، يؤدي إلى حصر الأمور التي يجري فيها الخلاف، وبالتالي تكون الأدلة وفق هذا المنهج، قال في مسألة خبر الواحد ونقلهم إنكار الجبائي في الفقرة السابقة: «وكأن هذا الغلط من مفاسد الاشتراك، أن الواحد يراد به الفرد، كما هو وضعه، ويريد الأصوليون ما لم يبلغ التواتر». وقال في معارضة من اشترط تحقق ظن المانع: «والذي أظنه أنه انتقال ذهني من أمارة الظن إلى الظن ومع ذلك فهو بعيد عن هدي الجمهور».[65]

٥) وحدة المنهج في الأصول والفروع، وربط الفروع الفقهية بالقواعد الأصولية. فقد أنكر على بعض العلماء اختلافهم في تقرير بعض المسائل من فن إلى فن كتقريرهم قواعد في النحو ومخالفتها في الأصول أو تقرير قواعد أصولية ومخالفتها في الفروع، فقال عائباً على صاحب البحر الزخار: «هذه –الوضوء بالماء المغصوب– كمسألة الصلاة في الدار المغصوبة، وقد منعها المعتزلة، وأحمد بن حنبل، والباقلاني، وأكثر المتكلمين، فلا أدري كيف يختلف كلام الرجل باعتبار تكلمه مع أهل فنين كالأصول والفروع، وهذا غير عزيز».[66] وكذا في مسألة عود المتعاطفات –إنكاراً على الجمهور– إلى الجميع.[67]

---

64 المقبلي، نجاح الطالب، ٢٦٧.
65 المقبلي، نجاح الطالب، ٢٧٦.
66 المقبلي، المنار، ٣٣.
67 المقبلي، نجاح الطالب، ٣٩٧.

٦) البعد عن التعصب، وهذا واضح في عزوه للأقوال ونقله للمسائل وهي سمة مرموقة للعالم الرباني، حيث يكون هدفه من وراء بحثه هو معرفة الحق أينما كان،وقد صرح بأنه وضع نفسه موضع الجهل الذي خرج به من بطن أمه، وأن مذهبه هو الإسلام، وقد بينا ذلك وأوردنا ما قال شعراً ونثراً في الحديث عن مذهبه، وأصرحها قوله: «أنا رجل أصيح على رؤوس الأشهاد، ولا أهاب أي ناد، أي لا أتقيد بمذهب وأقبح ذلك، وأقول هو من عظم المنكرات».[68] وهذا ما جعله يقترب من الصواب بحسب اجتهاده، ولا يعنيه قائل القول.

٧) اعتماده على منهج الاستقراء للشرع فيما يبني على هذه الأصول، كالرفق بالأمة، وجمع الكلمة، ووحدة الصف، ونبذ الفرقة والخلاف، ومراعاته لمقاصد الشرع في التيسير، ورفع الحرج، وهذه وإن كانت عامة بالنسبة للمقبلي لكن خصصناها بالأصول لأن الفتوى نابعة عن هذا الفن. وهي سمةٌ بارزة في مؤلفاته فتراه يعيب على الفقهاء تشددهم في أمور يشق على الناس القيام بها، أو فهمها كمسألة المتحيرة في الحيض التي لا تعرف وقتها ولا عددها مع إطباق الدم قال:فقد كلفوها ما لا يقوم به أحد[69] كما عاب عليهم التكلف ودعاهم إلى الرفق بالعامة.[70]

وأدرك خطر الخلاف والتمذهب، ودعا الأمة إلى نبذهما كون ذلك هو الداء العضال.[71] ونوه إلى أمر أعظم وهو الحامل على الخلاف والرد وهو عند ما يكون المعتقد له ديناً، وذلك علامة أنهم تعدوا طورهم ولم يبقوا على الحد الذي أوقفهم الله ورسوله وأطال الكلام في بحث الاختلاف.[72]

---

68 المقبلي، الأبحاث المسددة، ٦٤.
69 المقبلي، نجاح الطالب، ٥١٣؛ المقبلي، المنار، ١٠٩.
70 المقبلي، المنار، ٢٨٨.
71 المقبلي، العلم الشامخ، ٢٠٣-٢١٢.
72 المقبلي، العلم الشامخ، ١٩٤- ١٩٧.

والإمام المقبلي كغيره من العلماء بشر، له أخطاؤه التي لا تنفك عن بشر، ورغم ما ذكرنا عن تميزه السابق إلا أن عليه مؤاخذات في الاستدلال منها:

١) التشتت وعدم الترتيب، فهو ينتقل من دليل إلى دليل ومن موضوع لآخر، ويجمع مسائل متعددة في مسألة واحدة، فما انقدح في ذهنه نبه عليه من غير مراعاة محله. فنراه يورد المسائل العقدية ويقحمها في باب القياس بحجة أنها هي ذاتها، ما نفاه البعض من تعليل أفعال الباري،[73] وأدخل مسألة الكسب والاختيار ومسألة التعليل، ومسألة التحسين والتقبيح، وجعلها واحدة، أو مسألة خلق الأفعال.[74]

٢) عدم الاعتناء بضبط الحدود والتعاريف، وقد يكون ذلك اكتفاء بما حقق في الكتاب الأصل وموافقته في ذلك، وحيث يكون نزاع فإنه يعترض ويبين.

٣) شدته في الحكم على الآخرين، ومبالغته في نقد خصومه، واتهامه لبعض الأئمة بالجهل والهوى وغير ذلك من الأوصاف، ورميهم ببعض الأوصاف التي لا تفارق بشر. ومن ذلك قوله عن الأشاعرة في مسألة التحسين: «فمغالطتهم في جميع أطراف المسألة بذلك لا يقتحمها أهل الادكار والمروءة».[75] ومن ذلك مبالغته في نقد العضد شارح مختصر ابن الحاجب بقوله: «فهذه العجائب اتفاقية، فلهذا استأنس الشارح وألقم يده فم الأفعى لظنه أن عند سلفه درياقا[76] ينفعه عند الله، ولم يبال بالخزي بين العالمين».[77] وقوله: «ولا تخفى

73 المقبلي، نجاح الطالب، ١٠٨.
74 المقبلي، نجاح الطالب، ٦١، ١٠٢.
75 المقبلي، نجاح الطالب، ١٣٠.
76 الترياق: ما يستعمل لدفع السم، وهو رومي معرب، ويقال: درياق وطرياقا. ابن الجوزي أبو الفرج، غريب الحديث. ج ١ (١٩٨٥)، ١٠٦.
77 المقبلي، نجاح الطالب، ٦٠.

مغالطته هذه على أبلد الخلق إلا من قلب قلبه».[78] ومنها وصفه البعض بالنعامة ورميه البعض بألفاظ تدل على الجهل أو التلون في الدين أو قريبا من ذلك.[79]

٤) يؤخذ على المقبلي عدم اهتمامه باصطلاحات المحدثين، وعمله ببعض الأحاديث التي يعتريها الضعف. ومن ذلك إخراجه لأحاديث فضائل آل بيت حيث يصل بعضها إلى الوضع، وقد لاحظ الظاهرة السابقة الإمام الشوكاني فقال: «ومع اتساع دائرته في العلوم، ليس له التفات إلى اصطلاحات المحدثين في الحديث، ولكنه يعمل بما حصل له عنده ظن صحته، كما هو المعتبر عند أهل الأصول، مع أنه لا ينقل الأحاديث إلا من كتبها المعتبرة كالأمهات وما يلتحق بها، وإذا وجد الحديث قد خرج من طرق وإن كان فيها من الوهن ما لا ينتهض معه للاحتجاج، ولا يبلغ به إلى رتبة الحسن لغيره عمل به، وكذلك يعمل بما كانت له علل خفيفة».[80] ومع ذلك نجد له كثيرا من تحقيق الأحاديث، فربما أن الظاهرة غير عامة، وقد يكون الحامل على ذلك –وهو قليل– المبالغة في الاحتجاج، وإلا فهو ينقد الأحاديث متنا وسندا وذلك ظاهر في أبحاثه.[81] ونقده للمعتزلة والزيدية في عدم التفريق بين غث الحديث وسمينه دليل على ذلك.[82]

خلاصة آراء المقبلي الاصولية في أدلة الأحكام الشرعية

حرر الإمام محل النزاع في أمهات المسائل ، وخالف الجمهور ووافقهم، وقد برزت له آراء وتحريرات أصولية فائقة، أثبتت تمكن الإمام المقبلي ورسوخ

---

78 المقبلي، نجاح الطالب، ٤٠-٥٤.
79 المقبلي، نجاح الطالب، ٢٣٤، ٣٢٣، ١٠١.
80 الشوكاني، البدر الطالع، ٢٩١.
81 المقبلي، نجاح الطالب، ٤٦١.
82 المقبلي، العلم الشامخ، ٦٠، ١٨٢. وانظر: المقبلي، المنار، ٢٢، ٤٣، ٤٤، ١٩٠، ٢٦١.

قدمه عبر عنها بأسلوب جمع فيه بين عقلانية المعتزلة، وظاهرية المحدثين، وتوسط أئمة المذاهب الأربعة وسنعرض لها في مقامات أخرى، وكتابات قادمة، وأهم الأدلة المعتبرة جملة هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس والعرف وشرع من قبلنا، ولا يرى صحة الاستدلال بالمصلحة المرسلة والاستحسان وقول الصحابي واعتبر الاستصحاب حجة في الدفع لا في الإثبات مع في تفصيلات واحترازات في هذه المباحث.

الخاتمة والنتائج

تجلت شخصية هذا الإمام الأصولي المجتهد في القرن الحادي عشر، بما يتناسب مع مكانته، التي شهد بها أكابر علماء عصره، ومن أتى بعده من العلماء المجتهدين، كما يشهد ذلك تراثه العلمي المتفرد.

تبين أن الإمام المقبلي من المجتهدين المحققين في الأصول، ولم يتقيد بمدرسة في أصول الفقه وكان له أثره البارز في إذكاء مدرسة الدليل، ولم يستسلم للتقليد والمذهبية، معتمداً في أقواله على الكتاب والسنة. تميز المقبلي بالاستقلال في الرأي والاستدلال، ونقل المذاهب من أصحابها، والاهتمام بتحرير محل النزاع، وتصحيحه، والبعد عن التعصب واعتماده على منهج الاستقراء للشرع فيما يبني على هذه الأصول، كما تميز بالجرأة في المخالفة، بالخروج عن أقوال الجمهور دون تهيب للمخالف، ولو كانت كل المذاهب، وقد يصل في بعض المسائل إلى حد التفرد، كما في قبول القراءة الشاذة، واستبعاد دعوى وقوعِ الإجماع في عصر الصحابة وذلك بناء على النظر في الأدلة، وليس قولاً بالهوى، أو لمجرد المخالفة.

تنوعت طريقة المقبلي في العزو إلى المصادر من العزو إلى الكتاب، والعزو إلى المؤلف، والعزو إلى المؤلف والكتاب وهو الأغلب وأما النقل للأقوال فنجده تارة ينقل القول بتمامه، وتارة يذكره بمعناه.

وقد استدل بالعقل والنقل، وكان استدلاله العقلي غالب، وقد كانت مصادره متنوعة، لاتصال علم أصول الفقه بأصول الدين واعتماده على اللغة، وأقوال أهل التأويل والحديث. تعرض الإمام المقبلي لأمهات المسائل الأصولية، ولم يهتم بالجزئيات، كما لم يعر اهتماما لذكر الأقوال، ونسبتها إلا حيث يصحح نقلاً، أو يحقق قولاً لم يحققه من سبقه، كما في نقل المذاهب في خبر الواحد، وتصحيح نسبة الأقوال إلى بعض المعتزلة خاصة. ويسلك أحياناً مسلك التفصيل في بعض المسائل، إما جمعاً بين الأقوال أو كنوع من العمل بجميع الأدلة.

يؤخذ على المقبلي التشتت وعدم الترتيب، وعدم الاعتناء بضبط الحدود والتعاريف وشدته في الحكم على الآخرين. كما يؤخذ على المقبلي عدم اهتمامه باصطلاحات المحدثين، وعمله ببعض الأحاديث الضعيفة، وقد كانت اجتهاداته متنوعة بين الجمهور ومدرسة الأحناف. ويمكن القول أن المقبلي نظر بعقل المعتزلة، واستنار بظواهر النصوص، وسبر أغوار المسائل بتحليلات الجمهور.

فهرس المراجع

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. **غريب الحديث**. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، تحقيق:عبد المعطي أمين القلعجي، ١٩٨٥.

ابن الحاجب جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر. **مختصر منتهى السول والأمل من علمي الأصول والجدل**. بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، تحقيق: د:نذير حماد، ٢٠٠٦.

ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي. **لسان العرب**. بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى.

أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي. **سنن البيهقي الكبرى**. مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ١٩٩٤.

الأكوع، القاضي إسماعيل بن علي. **هجر العلم ومعاقله في اليمن**. بيروت: دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.

التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب. **مشكاة المصابيح**. بيروت: المكتب الإسلامي. الطبعة الثالثة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ١٩٨٥.

الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف. **البرهان في أصول الفقه**. مصر: دار الوفاء، الطبعة الرابعة، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب، ١٤١٨.

الحبشي، عبد الله محمد. **مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن**. بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٨.

الحموي، ياقوت بن عبد الله. **معجم البلدان**. بيروت: دار الفكر، د. ت.

الحيمي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحسن. **طيب السمر في أوقات السحر**. صنعاء: مكتبة الإرشاد، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ١٩٩٠.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسين. **المحصول في علم الأصول**. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، ١٤٠٠.

الزبيدي، محمد مرتضى. **تاج العروس من جواهر القاموس**. دار الهداية، تحقيق مجموعة من المحققين.

السبكي، علي بن عبد الكافي. **الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي**. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، تحقيق: جماعة من العلماء، ١٤٠٤.

السجستاني أبو داود، سليمان بن الأشعث. **سنن أبي داود**. بيروت: دار الفكر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ت.

الشوكاني، محمد بن علي. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. بيروت: دار المعرفة.

الشوكان، محمد بن علي. **أدب الطلب ومنتهى الأرب**. لبنان بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

الصنعاني، محمد بن محمد بن يحيي زبارة. **نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف إلى سنة ١٣٥٧هـ**. صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني.

العمري، حسين عبدالله. **المنار واليمن دراسة ونصوص**. دمشق: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

المحبي، محمد أمين بن فضل الله. **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**. بيروت: دار صادر.

المقبلي، صالح بن مهدي. **المنار في المختار من جواهر البحر الزخار**. بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨.

المقبلي، صالح بن مهدي. **الإتحاف لطلبة الكشاف (مخطوط)**. صنعاء: مكتبة الجامع الكبيرالشرقية،٨٩:١، رقم ٧٧٥٩.

المقبلي، صالح بن مهدي. **الأبحاث المسددة في فنون متعددة**. صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

المقبلي، صالح بن مهدي، **العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ، ويليه الأرواح النوافخ لآثار إيثار الآباء والمشايخ**. بيروت: دار الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

المقبلي، صالح بن مهدي. **نجاح الطالب لمختصر المنهى لابن الحاجب**. المنصورة: دار البدر، الطبعة الأولى، تحقبق:محمد صبحي حلاق، ٢٠٠٩.

المقحفي، إبراهيم بن أحمد. **معجم البلدان والقبائل اليمنية**. صنعاء: دار الكلمة، ٢٠٠٢.

المليكي أحمد عبد العزيز. **الشيخ صالح المقبلي وفكره الإسلامي**. العراق جامعة صدام للعلوم الإسلامية، ١٩٩٩.

الموسوعة اليمنية. مؤسسة العفيف الثقافية. بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.